



قال تعالى: " يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عالم خبير".

عندما يجبر كسر، ويكون التجيير في غير موضعه الصحيح، فإنه يكون هناك لا بد من إعادة الكسر مرة أخرى ليتم التجيير بشكل صحيح في موضعه الأثم.

مع انتصاف لقرن العشرين، فقد انجلت القوى الاستعمارية عن مستعمراتها في كل من آسيا وإفريقيا، لكنها في المقابل سلمت السلطة عبر تفاوض لمن لا يخرج عن طوعها.

ورغم أن أصل الدول مبني على مبدأ الشعوب والقبائل فقد عملت على تمزيق تلك القبائل على دول عددة، كي تضمن عدم استقرارها، ولتضمن أن الكسر الذي تم تجييره، قد عاد إلى غير موضعه الصحيح، مما يؤمن إعاقة في التقدم والبنيان للدول التي تركتها، فيبقيها متخلفة مستهلكة مرتبطة مع المستعمر الألب الذي أعادها وحولها إلى دول بلا مستقبل.

لذا، وعلى سبيل المثال فقد قسم البشتون على دولتين هما باكستان و阿富汗ستان، وضم إلى دولة البشتون (أفغانستان) أجزاء من الطاجيك (طاجيكستان)، وأجزاء من الأوزبك (أوزبكستان)، والهزارة الشيعة (إيران).

كما عمل على تقسيم الهند إلى دول ثلاث هي بنغلادش، والهند، وباكستان، كي يضمن عدم حصول أكثريية غالبة للمسلمين في الهند، بل وأوجد دولة وهمية اسمها باكستان هي خليط يحوي أجزاء من الهند القديمة، وأجزاء أخرى من البشتون، وأبقى الكشميريين تائهين بين الحالتين.

كما قسم الكرد على العراق وسوريا وتركيا وإيران، وكذلك ضم لإيران عرقيات شتى منها العرب الأحوازيون والأذريين والبشتون، وغيرهم.

ومثل ذلك فعل مع تشارد والقبائل المسلمة حولها في نيجيريا وكيانيا (جماعة بوكو حرام)، وكذا فعل مع مويتانيا والسنغال، وشبيهه في الصومال والحبشة وجيرانهما. وحال تركيا ليس بعيد عن ذلك. يتضح مما سبق أن الاستعمار عمد إلى إنشاء دول مشوّهة، حتى أخرجها من وضع الشعوب والقبائل المتحدة، فجعلها ممزقة بين بلدان عدة، مشكلة قنبلة موقوتة.

ومع مرور حوالي قرن من الزمن، وحصول تقدم علمي، وانفجار سكاني، تحولت تلك المستعمرات القديمة إلى دول يشكل فيها الشباب العنصر الأعم والأغلب، وتتميز تلك الأجيال الناشئة بالوعي الثقافي والمعرفي نظراً لكثره وسائل التواصل الاجتماعي، وانتشار الفضائيات، ووسائل البث السياسي والمصلحي في كل مكان.

ترافق تلك الحالة، مع توق الشباب إلى تحسين أوضاعهم الاجتماعية، فاصطدموا بالبطالة، والبيروقراطية، وعدم قدرة تلك الدول المصطنعة على تلبية الحد الأدنى من عمليات التطور القادرة على إنتاج فرص عمل جديدة ومجذبة. واكتشفت الأجيال الشابة أن كل فئة حاكمة ربطت معها أصحاب مصالح، وأنها دعمت أساساتها على عناصر عرقية أو إثنية بعينها، مما أدى بالأجيال الشابة كردة فعل إلى البحث عن هويتها الإثنية أو العرقية أو الدينية لتشكل حالة دفع تطالب بواسطتها بحقوقها.

وقد عمل الاستعمار عند تقسيمه الدول على أن يوليه للأقليات، إمعاناً منه في الاستعباد، فولى في سوريا النصيرية، وعرض على الشيعة العراق.

لذا فحالة الربيع العربي ليست حالة جامدة ضمن محيطها الضيق بل هي حالة إعادة تمويع عالمي سيحصل بشكل هائل في كل من آسيا وإفريقيا، وبداياته تشكلت في المنطقة نظراً لارتفاع منسوب الوعي السياسي لوجود العدو الصهيوني في فلسطين، وقد ساعد في تشكيلها انفراط القبضة الحديدية الأمريكية في العالم.

تبعاً لما سبق فإن العالم يتهيأ لحالة فراغ عالمي ستتشكل مع انهيار الدولار المتوقع، مما سيؤدي إلى ثورات عالمية، وستعم حالة الفوضى إلى أن تعود الدول إلى شكلها الأول "شعوب وقبائل"، ثم تنشأ بعدها مرة أخرى الامبراطوريات حسب تفاهمات بين الدول وشعوبها.

أخيراً، إن ما يشهده العالم الآن هو ثورة على الواقع المعيق غير الطبيعي الذي تركته الدول الاستعمارية، ولن تهدأ هذه الثورات حسب القوانين الاجتماعية غير المكتوبة للبشر إلا بعد عودتها إلى الالئام في مواضعها الأصلية، وستتشكل عندها حقبة تاريخية قادمة، وهو ما سيشهد العالم خلال العقدين القادمين، والله أعلم.

المصادر: